الشمس قد فصلت منها ظلالا ساكنة خلفها ، غارقة في التأمل ، تعرف اكثر مما نعرف نحن ، وترقب صمت القرية ، ذلك الصمت الذي كان يتواصل اكثر فاكثر ، فخلق جـــوا خاصا به وحده ، واقع اطلال ، آلام حزن فراق لبيت خاو ، لشاطىء مقفر يضربه الموج تلو الموج والافق فراغ ، ونفس السكون الغريب لجثمان ميت · ولم لا ؟ ـ لا شيء : يوم واحد غير مريح فقط ، وجذورنا تضرب من بعده هنا لايام مديدة · كما الشجرة على غدير مساء · اجل · وفي المقابل ، المجرمون ··· ـ ولكنهم هؤلاء هم هناك في الشاحنات الان ولن يكونوا ، وفي الحال ، سوى صفحة قد انتهت وانطوت · بالتأكيد · أليست هي من حقنا ؟ أولم نحتلها ؟ ·

شعرت انني على شفير هاوية · نجحت في السيطرة على نفسي · كانت اعماقي كلهـا تصرخ · مستوطنون مغتصبون ، صرخت من اعماقي · كذب ، صرخت · خربة خزعـــة ليست لنا ، لم يمنحنا الشباندار اي حق قط · ها ـ ها ، صرخت اعماقي · ما الذي لم يرووه لنا عن المهاجرين وعن نجاتهم وانقاذهم ··· مهاجرونا بالطبع · اما هؤلاء الذين نهجرهم نحن ـ فهذا موضوع اخر البتة · انتظر : الفا عام من المنفى · ماذا لا · يقتلون اليهود · اوروبا · نحن الاسياد الان ·

أحقا ان جدران هذه القرية سوف لن تصرخ في آذان اولئك الذين سيسكنونها ؟ أحقا ان كل تلك المشاهد ، الصرخات التي صرخت والتي لم تصرخ ، البراءة المروعة لقطيـــع منصعق ، اذعان الضعفاء ، وبطولتهم ، البطولة الوحيدة للضعفاء ، الذين لا يعرفون ما سيفعلون ولا هم بالقادرين ان يفعلوا ، الضعفاء ـ المخرسون ـ أحقا انها لن تملأ الهواء هنا بفيض من الاشباح والاصوات والنظرات ؟·

اردت ان افعل شيئا · عرفت انني لن اصرخ · لماذا ، الى الجحيم ، انا المتأثر الوحيد هنا · من اي طين جبلت ؟ لقد تورطت هذه المرة · كان ثمة شيء متمرد في ، يفجر كل شيء · من ذا الذي اخاطبه فيسمعني · انهم سيسخرون مني وحسب · كان في انهيار صاعق · كان لدي وعي واحد كمسمار مثبت ، بأنه لا يمكنني التسليم بشيء ، ما دامت تتلألأ دموع طفل باك يسير مع امه المتمالكة لنفسها بغضب دموع صامتة ، ويخرج الـى المنفى ، حاملا معه صيحة ظلم ، وصرخة لا يمكن ان لا يكون في العالم ثمة من يلتقطها في الوقت المناسب ـ فقلت اذ ذاك لمويشي : « ليس لنا ، يا مويشي ، اي حق في اخراجهم من هنا ! » ، ولم ارد لصوتي ان يرتعد ·

واما مويشي فقد قال لي : « ثانية ، أتبدأ ثانية ! »

فعرفت ان لا فائدة فيما اقول ·

وأسفت ، اسفا حتى الاختناق ·

كانت الشاحنة الاولى ، لم اعرف متى ، قد تحركت وراحت تصعد الطريق الترابـــي الكبير · (لو انني استطيع الذهاب اليهم الواحد تلو الاخر وأسر اليهم : عودوا ، عودوا الليلة ، فنحن ذاهبون من هنا حالا ، وستظل القرية فارغة ـ عودوا · لا تتركوا القريـة خالية !) · وحالا تحركت الشاحنة الثانية ، شاحنة النساء ، اللواتي كن يزركشـــن الشاحنة بزرقة ثيابهم وابيضاض المناديل ، ومندبة واحدة تصاعدت هناك ، واندكـت بعويل الشاحنة الثقيلة التي كانت قد اصطكت وتشبثت بالطريق الموحل في الرمل الرطب · (اما العمي فلا بد وينسونهم هنا على قارعة الطريق) · لقد كان الوقت اصيلا · وعلى